

علاقة النهضة بالتنوير عند طيب التيزيني

The relationship between the Renaissance and Enlightenment according to Tayeb Tiziniد/ فتيحة بوقنة¹، أ.د/ نورالدين هالي²¹ مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة 2 (الجزائر).fatiha.boukenna@univ-constantine2.dz² مخبر فلسفة العلوم الإنسانية، جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة 2 (الجزائر).nouredine.hali@univ-constantine2.dz

تاريخ الاستلام: 2025/02/23 تاريخ القبول: 2025/05/08 تاريخ النشر: 2026/01/23

ملخص:

نتناول في هذه الورقة البحثية مفكرا عربيا نهضويا تنويريا هو "طيب التيزيني" (1934-2019م)؛ الذي يسعى إلى إيجاد مشروع جديد في النهضة والتنوير عبر تقديم مقارنة نقدية للواقع العربي، إيماننا منه بأن المجتمعات العربية اليوم تعيش في حالة من "الحطام المفتوح"، أي أن الانحطاط الذي تعيشه ليس قدرا محتوما، بل يمكن تجاوزه عبر بناء مشروع عربي نهضوي تنويري جديد، فالنهضة الحقيقية لا تكتمل بدون فكر تنويري يحرر العقل من القيود التقليدية، وأن التنوير بدوره يحتاج إلى نهضة فكرية تستوعب التراث وتعيد إنتاجه نقديا بما يخدم الحاضر والمستقبل.

لهذا، نهدف من خلال هذا المقال إلى تبين أن العلاقة بين النهضة والتنوير ليست خيارية، وإنما هي علاقة تضافية متداخلة بمعنى أنهما وجهان لعملة واحدة، وهي تأسيس مجتمع عربي جديد قادر على مواجهة كل أشكال الظلمة والاستبداد والتخلف.

كلمات مفتاحية: طيب التيزيني، النهضة، التنوير، الحطام المفتوح، الظلمة.

Abstract:

In this research paper, we examine an Arab renaissance and enlightenment thinker, Tayeb Tizini (1948–2019), who sought to establish a new project for renaissance and enlightenment through a critical approach to the Arab reality. He believed that Arab societies today exist in a state of "open ruin," meaning that their current decline is not an inevitable fate but can be overcome by constructing a new Arab renaissance and enlightenment project. According to Tizini, true renaissance cannot be complete without an enlightenment thought that liberates the mind from traditional constraints, and in turn, enlightenment requires an intellectual renaissance that comprehends heritage and critically reconstructs it in a way that serves both the present and the future.

Therefore, this research paper aims to demonstrate that the relationship between renaissance and enlightenment is not optional; rather, it is an interdependent and intertwined relationship, meaning that they are two sides of the same coin—the foundation of a new Arab society capable of confronting all forms of obscurantism, tyranny, and backwardness.

Keywords: Tayeb Tizini, Renaissance, Enlightenment, Open Ruin, Obscurantism.

*المؤلف المرسل: الدكتورة فتيحة بوقنة

1. مقدمة

إذا كان السؤال الذي طُرِح في إطار الثقافة العربية والإسلامية منذ عصر النهضة —كما مثلته رموز فكرية "كمحمد عبده" وقبله "رفاعة الطهطاوي" و"عبد الرحمن الكواكبي وغيرهم"— يتمحور حول إشكالية التقدم، بمعنى: كيف يمكننا أن نحقق ما حققه الغرب؟ ولماذا وجدنا أنفسنا في موقع المتخلف بينما تقدم الآخر؟ فإن المفكر السوري "طيب التيزيني" يتجاوز هذا الطرح الأنطولوجي-التاريخي لي طرح تساؤلا وجوديا أشد عمقا، يتعلق بإمكانية الحفاظ على الهوية الثقافية والذات الحضارية في ظل تحولات جوهرية نشهدها اليوم، سواء على المستوى الداخلي أو ضمن الأفق العالمي.

ففي ضوء تصاعد النظام العولمي الجديد الذي يسعى —وفق رؤية التيزيني- إلى اجتثاث العالم العربي من جذوره الثقافية والتاريخية، يدعو "التيزيني" جموع المفكرين العرب والمسلمين إلى ضرورة تأسيس مشروع عربي نهضوي جديد ينخرط في عملية التنوير، مشروع يرى فيه "التيزيني" امتدادا نقديا خلافا لمشاريع النهضة السابقة؛ تلك التي أخفقت في تحقيق أهدافها ليس بسبب قصورها النظري فحسب، بل لعوامل بنيوية وتاريخية معقدة حالت دون تجسيدها في واقع فعلي ملموس، والنهضة في نظر "التيزيني" لا تكتمل إلا عبر فكر تنويري يتجاوز قيود التقليد ويحرر العقل من أساوره؛ إذ أن جوهر التنوير يكمن في نهضة عقلية نقدية تعيد قراءة التراث وتفكيكه، لا لاستعادته بشكل جامد، بل لإعادة تأسيسه وفق رؤى تخدم الحاضر وتفتح آفاق المستقبل، في ضوء هذا المعطى نتساءل: ما طبيعة العلاقة بين النهضة والتنوير في فكر طيب التيزيني؟

2. مفهوم النهضة ومقومات المشروع النهضوي

لم يكن مفهوم النهضة حاضرا في الفكر العربي، إلا بوصفه استجابة لحالة من المقارنة القسرية مع الغرب، حيث فرض الاحتكاك المباشر مع الحداثة الغربية —خاصة مع حملة نابليون على مصر- وعيا مفاجئا بالفجوة الحضارية الفاصلة بين الطرفين وبضرورة النهوض، ضمن هذا السياق نتساءل: ما المقصود بالنهضة في المدلولين اللغوي والاصطلاحي؟ وما مقوماتها؟

1.2 مفهوم النهضة

أ/ لغة:

يقابل مصطلح النهضة في اللغات الأجنبية عموما، وفي اللغة الفرنسية على وجه الخصوص إلى renaissance، من فعل réveiller، (ولد من جديد)، المشتق من renaissance، بمعنى (الميلاد أو الولادة) naissance، أو بمعنى (الجديد)

nouvea، أو بمعنى (أحيا) revive، أو (إحياء) renouveau، أو بمعنى (القيامة) resavection، ويقابلها "بعث" أو "انبعاث" باللغة العربية. (البلعبي، 2008، صفحة 1855)

أما في لسان العرب لابن منظور، فيقصد بمصطلح النهضة: "انتفض القوم وتناهبوا أي نهضوا إلى القتال، ويقال أنهضته أي حركته وناهضته أي قاومته". (منظور، 2008، صفحة 295)

ب/اصطلاحاً:

يعرف "طبيب التيزيني" النهضة، بقوله: "هي أكثر من هبة، لأنها تتصل بفعل مجتمعي تاريخي ينجزه الجميع ممن عرفناهم الحامل الاجتماعي للنهضة؛ ولأنها لا تقف عند إنتاج المعارف والمهارات بل تنسحب على كل الحقول المجتمعية اقتصاداً وثقافة وقضاء وغيره". (تيزيني، 2005، صفحة 99) بمعنى أن النهضة عنده هي: عملية مجتمعية تاريخية متكاملة، تتجاوز كونها مجرد هبة أو منجى أو عطاء عابر، بل هي فعل يشترك فيه جميع الفاعلين وكل من يمتلكون الحامل الاجتماعي للنهضة، ممتداً ليشمل كل الجوانب الحياتية المجتمعية ثقافة، اقتصاداً وقضاء وغيرها، تلعب النهضة دوراً جوهرياً في إحداث حركة تغييرية كاملة في بنية المجتمع وتوجهاته.

بالتالي، فالنهضة عند "طبيب التيزيني" هي عملية تاريخية تتحقق من خلال جهود فاعلة ينهض ويقوم بها حامل اجتماعي يتألف ويتكون من رجال ونساء يتمتعون بوعي تاريخي جد عميق، يمكنهم من خلال ذلك إدراك أن الخروج من الواقع المتخلف وتجاوز حالة الانحطاط والتدهور يحتاج إلى فهم آليات هذه العملية وقوانينها، بالإضافة إلى استيعاب ووعي حدودها وسبل تحقيقها.

2.2 مقومات المشروع النهضوي

يتمحور الحديث في هذا العنصر حول المكونات الأساسية للمشروع النهضوي، والتي يمكن إذا ما تكاملت أن تخلق وضعاً مؤهلاً لإنجاز الفعل النهضوي، دون أن يعني ذلك بالضرورة حتمية تحقيقه، وعلى مستوى آخر تبرز هذه المكونات بوصفها شروط، بحيث يؤدي غياب أحدها إلى تعليق المشروع النهضوي ذاته، وإذا ما حاولنا تفكيك بنية هذه الشروط وفقاً لمنظور التيزيني فإننا نجد أنها تتمثل في:

أ/الهوية الذاتية:

أما الهوية الذاتية عند "طبيب التيزيني"، فهي جوهر شخصية الأمة العربية والعنصر الأساسي الذي يحدد البنية الداخلية لها، بحيث يميزها عن غيرها من الأمم ويمنحها خصوصيتها، لكنه يؤكد بأن الهوية ليست حالة جامدة أو ساكنة (ستاتيكية)، بل يجب فهمها في إطار ديناميكيها وتطورها التاريخي، باعتبارها نتاجاً لحركة التغير المستمرة في التاريخ العربي. (تيزيني، بيان في النهضة والتنوير العربي، 2005)

أما فيما يخص البنية المشكّلة للهوية العربية، فإن "التيزيني" يقر على أنها تتشكل من ثلاث مقومات أساسية، تعبر مجتمعة على شخصية الأمة وتحدد معالمها بما يتوافق والمسار التاريخي ومختلف التجارب المتغيرة؛ هي:

-اللغة العربية: التي تعتبر بمثابة الحامل اللغوي للهوية الذاتية.

فاللغة العربية تمثل أحد العوامل الجوهرية في تشكيل وتكوين هوية وروح الأمة العربية؛ لهذا فاللغة العربية لها تأثير عميق باعتبارها تمثل حياة الأمة العربية، والأمة لما تفقد لغتها، ستفقد حتماً جزءاً من كيانها الوجودي، وتكون

عندئذ قد فقدت الحياة ودخلت في عداد الأموات، وتصبح العودة الى الحياة غير ممكنة ومستحيلة (الحصري، 1985، صفحة 37)، نفهم من هذا، بأن اللغة هي بمثابة الوعاء الذي يحتضن الهوية والثقافة والفكر، لاعتبارها تعبير عن الروح التي تجمع الأفراد كجماعة وتربطهم ببعضهم البعض هذا من طرف، واحتضانها للذاكرة الجماعية وارتباطها بالتراث العربي في الماضي وحفظ الذات العربية في الحاضر وامتداده حتى المستقبل من طرف آخر، وبهذا؛ فإن الأمة العربية إذا لم تستند الى اللغة العربية في تجديدها ستكون محاولاتها في النهوض من جديد مجرد تحصيل حاصل وتصبح جهودها عقيمة لا ترقى الى طرح الجديد لأنها بدون اللغة تكون فاقدة للوسيلة التي تعبر عن كيانها ووجودها.

-البنية السيكولوجية(شخصية الإنسان العربي): والتي تعتبر بمثابة الحامل الاجتماعي للهوية العربية.

-المنظومة الفكرية والثقافية: والتي تعتبر بمثابة الحامل الفكري للهوية العربية. (صالح ن.، 2008، صفحة 44)

إن المقومات الثلاثة للهوية العربية عند "التيزني" نجدها تتفاعل بشكل مستمر مع مختلف العوامل المحيطة بها، مثل: علاقات الانتاج المادي التي تحدد العلاقة بين الانسان والطبيعة، والنظم السياسية والحقوقية التي تحدد الحقوق والواجبات، والعلاقات الاجتماعية التي تشكل النسيج المجتمعي، ضمن هذه العلاقة الانتمائية يتم إرساء علاقة تفاعل بين الذات العربية (الأنا) والآخر المختلف عنها، فأحيانا تتمظهر هذه التفاعلات في الصراع والتجادل، وأحيانا أخرى تتجسد في التبادل الثقافي والحضاري، وفي بعض الحالات قد تتخذ شكل صدام أو تناقض، مما يعكس الطبيعة المتغيرة والمتحركة للعلاقة بين الهوية العربية والعوامل الداخلية والخارجية، لتظهر لنا مدى قدرتها على الاستجابة مع التغييرات من خلال هذه التفاعلات المختلفة.

ب/العمق التاريخي:

يأتي العمق التاريخي في نظر "التيزني" هنا تجذيرا للهوية الذاتية في التاريخ العربي، فيضفي عليه الشرعية التاريخية، وينفي عنها أن تكون لقيطة، خارج حركة الفعل التاريخي. (صالح ن.، طيب تيزني من التراث الى النهضة، 2008، صفحة 44) حيث تمثل الشرعية التاريخية عند "طيب التيزني" شرطا ضروريا من شروط الفعل النهضوي التنويري الجديد، لأنها في رأيه تقدم لهذا الفعل ما يحتاجه من مسوغات معرفية وتاريخية تظهره ، كما يقول: " بمثابة فعل على فعل، أو فعل في فضاء فعل سابق؛ مع الاحتفاظ بحق التأكيد على أن العلاقة التي تحكم الفعلين وتضبطهما ذات مستويين جدليين اثنين: مستوى الاتصال ومستوى الانفصال. إن اتصال الفعلين يشترط، بالضرورة التي يقوم عليها، الانفصال بينهما". (تيزني، بيان في النهضة والتنوير العربي، 2005، صفحة 96) وبالتالي فإن المشروع النهضوي التنويري لا يأتي من عدم، بل يدخل في تفاعل مع الإرث التاريخي السابق، غير أن هذا النوع من التفاعل يخضع لعلاقة جدلية مزدوجة تجمع بين الاتصال والانفصال، فبينما يستلهم المشروع الجديد من التجارب التاريخية التي سبقتها، ينفصل عنها في الوقت نفسه في نقاط محددة، حتى يتجاوز فشلها هادفا الى تأسيسها بما يتماشى والواقع المعاصر.

ج/الذاكرة التاريخية:

تلعب الذاكرة التاريخية دورا مهما في تشكيل الهوية القومية العربية، حيث تساهم في إحداث حالة من الامتلاء الذاتي، ما يعطي للأمة شعورا بالاستمرار والوجود في التاريخ؛ لهذا فهي بالنسبة "للتيزيني" لا تقتصر على مجرد استرجاع للماضي، بل تسعى أيضا إلى ترسيخ الهوية القومية بطريقة تدريجية، بحيث تصبح بمثابة التعميم البطيء لجملة من العناصر الثقافية العربية، كالمنتجات الثقافية والأخلاقية والسياسية والنفسية والموروثات الأسطورية وغيرها. (صالح ن.، طيب تيزيني من التراث إلى النهضة، 2008، صفحة 44،45) وبالتالي فالذاكرة بالنسبة "لطيب التيزيني" ليست ماضي فقط، بل هي أيضا عملية تساهم في بناء وتشكيل وعي الأمة بذاتها، وتشجيع قدرتها على النهوض من جديد.

د/الوعي التاريخي:

يمثل هذا الشرط موقعا حاسما من شروط تأسيس المشروع العربي الجديد في النهضة والتنوير، بحيث يمثل مدخلا نظريا أساسيا لأجل وعي وفهم أسباب التأخر والانحطاط القائم وبآلياته ونتائجه، وأيضا الإلمام بضرورات الفعل النهضوي وشروط تحقيقه خصوصا ما تعلق بالإرادة السياسية، والكتلة التاريخية، وأيضا المثقف العضوي والنهضوي، لهذا فهو سابق عن الفعل النهضوي بشكل نسبي، يقول التيزيني: "إنه -أي الوعي التاريخي- شرط من شروط متعددة لضبط عملية الاندراج في التاريخ والعيش في عمقه، بدلا من العيش في الطبيعة ما قبل التاريخية والخضوع، على نحو آلي بيولوجي- لقانونها المباشر". (تيزيني، بيان في النهضة والتنوير العربي، 2005، صفحة 98)

هـ/الوعي التاريخي النهضوي:

يزعم "طيب التيزيني" بأن المثقفين لهم دور محوري في حمل زعامة التغيير الاجتماعي والاصلاحي، بحيث يتولى المثقف العضوي النهضوي مسؤولية اقناع أفراد مجتمعه وحتى النخبة المثقفة، بضرورة المشاركة الفعلية في عمليات الإصلاح والتغيير على أرض الواقع لتقديم الحلول المناسبة تطبيقا وممارسة تجاوزا للجانب النظري، كما يشترط "التيزيني" أن يبتعد هذا المثقف عن أنظمة الحكم ولا يقربها بتاتا، ففي رأيه كل المواطنين مثقفون، لكن هذا لا يعني أن وظيفتهم ودورهم يرقى لدور المثقف، وإنما دور المثقف ومكانته لا يحظى بها غير المثقف نفسه؛ (تيزيني، بيان في النهضة والتنوير العربي، 2005، صفحة 98،100) أي أن المثقف العضوي عند "طيب التيزيني" هو صاحب مشروع نهضوي ثقافي يستند فيه إلى القيم الانسانية والعقلية لإحداث نهوض عربي جديد لأنه يمثل ضمير الأمة جمعاء.

يفهم من هذا، بأن "التيزيني" يدعو وبشكل صريح المثقف العضوي النهضوي أن لا يبقى في برجه العاجي، وإنما يدعوه إلى النزول لكنف المجتمع الذي يعيش فيه، وأن يعايش همومه وانكساراته، حتى يستطيع تشخيص آلامه ومشاكله المختلفة الاجتماعية، السياسية والاقتصادية وغيرها، ويقدم لها الحلول الناجعة ويرقي بها نحو التطور الحضاري؛ لهذا يشترط "التيزيني" على المثقف العضوي النهضوي أن يحافظ على استقلالته الفكرية وأيضا السياسية، وأن لا ينخرط مع الأنظمة الحاكمة، حتى يكون ضمير واعي وحيّ لأُمته ومتميزا بعقلانيته وقيمه الانسانية،

ولا يقع في فخ السلطة الحاكمة، فتقوم بتكبير حريته، فتغيب عنه نزاهته ونقده الموضوعي، وتتعرض عليه مواكبة ركب النهضة والتغيير.

3. في مفهوم التنوير وبنيته

يؤمن "طيب التيزيني" بأن المجتمعات العربية اليوم بمقدورها بناء مشروع نهضوي جديد قائم على التنوير، بحيث أن الوضع المتأزم الذي يحيط بأممتنا هو حالة مفتوحة قابلة للتجاوز نحو واقع أفضل؛ لهذا فمن وجهة نظر "التيزيني" يمكن للعالم العربي أن ينتقل من الفكر الظلامي إلى الفكر التنويري، لهذا نتساءل: ما مفهوم التنوير؟ ثم هي البنية المشكلة للتنوير عند طيب التيزيني؟

1.3 في مفهوم التنوير

أ/لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور التنوير هو مصدر مشتق من الفعل المضعف (نَوَّرَ) والفعل (نَوَّرَ، أَنْارَ، اسْتَنَارَ)، يحمل معنى: الإضاءة والإشراق، ويقال على سبيل المثال: "استنار الشعب أي: صار واعيا ومثقفا، ونور الله قلبه: يعني هداه الى الحق والخير". (منظور، لسان العرب، دت، صفحة 240)

ب/اصطلاحا:

التنوير هو اتجاه سياسي اجتماعي، حاول ممثلوه أن يصححوا نقائص المجتمع القائم، وأن يغيروا أخلاقياته وأساليبه وسياسته وأسلوبه في الحياة، بنشر آراء في الخير والعدالة والمعرفة العلمية. (المرزوقي ط، آفاق فلسفية عربية معاصرة، 2001، صفحة 302)

2.3 بنية التنوير

أ/الحرية:

تشكل الحرية عند "طيب التيزيني" إطارا جوهريا يتيح للأمة التطور والازدهار، حيث تعتبر الحرية دافعا وحافزا وضابطا أخلاقيا هام لتطورها، فتظهر هذه الحرية في رأي "التيزيني" في المرحلة الراهنة، وهي المرحلة التاريخية التي يعلن فيها عن مشروع النهضة والتنوير العربي، لتتجسد في رأيه من خلال: "الاستحقاقات الديمقراطية السياسية بمبادئها الكبرى المتمثلة - في صورة أخص - في التعددية السياسية والحزبية والإعلامية والثقافية، وفي مبدأ التداول السلمي للسلطة، وكذلك في إلغاء ما يعيق ذلك مجتمعا، خصوصا قوانين الطوارئ والأحكام العرفية، وعدم المساواة الحقوقية والسياسية بين المرأة والرجل، وبين الأقليات الثقافية والإثنية من طرف وبين الأكثرية من طرف آخر"؛ (تيزيني، بيان في النهضة والتنوير العربي، 2005، صفحة 103)؛ لهذا يقصد "التيزيني" بالحرية والديمقراطية ضمان حرية الإنتاج الفلسفي والفكري الإبداعي بصورة عامة، بعيدا عن تدخلات الأطر السياسية والمجتمعية ذات الربة الظلامية التي تفرض الرأي الواحد، ولا تحترم الآخر المختلف، ولا تقيم وزنا لتعددية الآراء في كل الحقول. (المرزوقي، 2001، صفحة 205)

إذن يرى "طيب التيزيني" بأن الحرية تأتي في إطار المشروع النهضوي التنويري العربي الجديد، متجسدة في الديمقراطية السياسية من خلال محاورها الكبرى التي تتأسس عليها والمتمثلة في السماح بالتعددية في الأحزاب

والمواقف والآراء الحزبية، وكذا ضمان حرية التعبير والحرية الإعلامية، كل هذا يعزز في نظر التيزيني فتح المجال التنافسي الفكري والسياسي، لبناء أنظمة ديمقراطية مستحقة، وقبول التنوع الثقافي داخل المجتمعات والأمم، لتعزيز مبدأ الحوار العقلاني والتفاهم بين مختلف الجهات والفئات.

أما بخصوص مبدأ التداول السلمي للسلطة، "فالتيزيني" يقصد بها الابتعاد عن كل أشكال العنف والاحتكار، لاستقرارية الأنظمة الاجتماعية والسياسية، من أجل ضمان انتقال الحكم بطريقة سليمة وديمقراطية، كما يدعو "التيزيني" إلى إنهاء قوانين الطوارئ والأحكام العرفية التي من شأنها إعاقة الطريق أمام الحرية والتطور الديمقراطي، وضرورة المساواة بين الجنسين (المرأة والرجل) في الحقوق الاجتماعية والسياسية وبين مختلف المكونات الثقافية والإثنية، لتعزيز العدالة الاجتماعية، وذلك بضخ طاقات جميع أفراد المجتمع دون أية تمييزات، لتحقيق مرحلة نهضوية وتنويرية جديدة.

ب/العقلانية:

يعرف "طبيب التيزيني" العقلانية، فيقول: "أما العقلانية فهي- في عمومها- منظومة من الآراء والإرادات والمبادئ والأهداف والآليات، تظهر في حقول التنظيم الاجتماعي والسياسي والاقتصادي وغيره من عسكري وحقوقى وحرفى...الخ. وبهذا فهي نمط من ترشيد الفعل الانساني في رؤية استراتيجية عقلية". (تيزيني، العقلانية والتنوير في الفكر العربي المعاصر (2008)، بمعنى أن العقلانية عند "التيزيني" تعتبر نمط لترشيد الفعل الانساني، فهي ليست منهج وأداة فكرية مجردة فقط، وإنما هي أداة فاعلة باعتبارها منظومة متكاملة لها رؤية عقلية استراتيجية واضحة، تساهم وبشكل فعلي في تطوير مختلف الحقول الحياتية.

يؤسس "طبيب التيزيني" البنية التنويرية على عنصر جوهرى ثانى ألا وهو "العقلانية"، إيماناً منه بأن العقل عنصر أساسى لبناء مختلف المعارف والقيم الأخلاقية، فوفقاً "للتيزيني" العقل هو سيد الأحكام حتى وإن كان موضع لتسفيه وتشكيك من بعض الاتجاهات الفكرية، كالأصولية الظلامية من الداخل التي ترفض أية انتقادات، والتيارات الما بعد حدثية من الخارج، والتي تقوم بالتشكيك في القدرات العقلية ووصوله إلى عقلانية حرة وثابتة. (تيزيني، بيان في النهضة والتنوير العربي، 2005، صفحة 103) أي أن العقلانية عند "طبيب التيزيني" هي عنصر جوهرى في بنية التنوير، تهدف إلى تحرير العقل من مختلف القيود، وإعادة تشكيله عن طريق توجيه نقد لذاته، وإعادة بناء نفسه على أسس حرة، تسمح له بإحداث التنوير العقلي داخل المجتمع العربي، ومواجهة التحديات الفكرية والحضارية التي تقف عائقاً أمام تطور الفكر العربي. لهذا نستخلص بأن العقلانية في تصور "التيزيني" هي بمثابة مشروع نقدي وأداة لتحرير العقل من مختلف القيود الایدولوجية والفكرية التي تكبله، كما تهدف إلى إعادة تشكيل الأنظمة الجامدة، بإعطاء للعقل السلطة المطلقة في أن يكون فاعلاً في إحداث النهوض والتنوير العقلي وفتح الباب أمام الابداع والتقدم الحضارى.

أما عن دور العقل "فالتيزيني" يرى بأنه مدعو للخوض في إعادة عملية نقد تأسيسية لذاته وفق مبادئ معرفية ابستمولوجية جديدة، وأن يقوم بتكوين وتشكيل مناهجه وأسس من جديد، ففي رأيه العالم العربي اليوم يعيش تحديات جديدة تتطلب منه على حد تعبيره "حرية عقلانية" أو "عقلانية حرة"، للتحرر من مختلف الایدولوجيات

والأفكار التي تعرقل سبيل تحقق التنوير والتقدم على المستوى الفكري والثقافي داخل المجتمع العربي، لهذا يعتبر "التيزي" العقلانية الحرة بمثابة المدخل الرئيسي لاقتحام كل المؤسسات ومختلف النظم الفكرية والايديولوجية والقيمة في العالم العربي نحو النهوض والتنوير. (تيزي، بيان في النهضة والتنوير العربي، 2005، صفحة 104)

إن معضلة العقلانية حسب "طيب التيزي" في الفكر العربي المعاصر إنما هي معضلة في البنية المجتمعية العربية واشكالية في الفعل والارادة المؤسسة والمصادر عليها من مختلف الأنظمة البيروقراطية المتكلسة والمترهلة، ولهذا فالتيزي يرى بأن إعادة بناء "العقلية-الملكة"، في سياق الأنظمة المتقدمة للإنتاج المعرفي ومن خلال عملية تكون مفتوحة في الفعل والارادة ومختلف المؤسسات الحرة، هي عبارة عن شرط أساسي لبداية للمشروع النهضوي التنويري الذي يسعى لتحقيقه في العالم العربي). تيزي، العقلانية والتنوير في الفكر العربي المعاصر (2008،

ج/الدفاع عن الحرية والعقلانية:

يقصد هنا "طيب التيزي" حرية الناس في التفكير ووضع الخيارات، والحرية في الاختلاف بين بعضهم البعض، شريطة وضع حدود تضمن وحدة المجتمع الوطنية، لتبرز في رأي "التيزي" فكرة الكفاح التنويري؛ التي قال بها سابقا كائنا في بحثه عن التنوير في كتابه "ما هو التنوير" الذي صدر عام 1784م، والذي عمقه أكثر في السياق السياسي والسوسيولوجي في مؤلفه "حول السلام الدائم"، الذي صدر عام 1795م. (تيزي، بيان في النهضة والتنوير العربي، 2005، صفحة 105)

في هذا السياق، يفصح "التيزي" عن المهمة التي يناط بها المثقف النهضوي التنويري العربي، حيث يفرق بداية بين المثقف العضوي تعبيرا عن علاقته العضوية التي توحد بين المثقف والأمة، وبين المثقف النهضوي التنويري العربي، والتي أقر "التيزي" بأن عضوية هذا المثقف تظل مستبطنة فيه ومحددة لترسم له خارطة توجهه المعرفي والايديولوجي، فبعد اكتشاف النفط السياسي مع بداية السبعينيات من القرن المنصرم، وانتهاء النظام السياسي العربي في مجمله وعمومه الى الدولة الأمنية ودخول التكنولوجيا الغربية المتقدمة، (تركمان، 2023) فقد لاحظ "طيب التيزي" بأن كل هذه العوامل أثرت وبشكل مباشر على محاصرة الكفاية المادية والكرامة الوطنية والأخلاقية، وأيضا محاصرة الحرية في المجتمع العربي.

ما أدى الى ظهور فئات من النخبة المثقفة لدى العرب، راحت في منظور "التيزي" تلهث وراء كفايتها المادية المنهوبة وكرامتها المستباحة، ضمن هذا الإطار، يقر "التيزي" بأنه قد حدث شرخ كبير وعميق في بنية الثقافة والمثقفين العرب، تسببت في جملة من الانكسارات أهمها انكسار الرهان النهضوي التنويري، ففتحت المؤثرات السالفة الذكر، هنا يرى "التيزي" بأنه تراجعت بوادر التنوير وتصاعدت الظلامية في كل تجليات الفكر العربي النظرية وتياراته السياسية؛ إذ يقول "ففي" اليسار و"اليمين" و"الوسط"، برزت اتجاهات الإدانة ل"الأخر" بصيغة اتهامه بالرجعية، أو بالطائفية، أو بالأصولية، أو بالانتهائية، أو بالتخشب في خطابه السياسي، أو بالتواطؤ مع النظام السياسي الاستبدادي القائم في هذا البلد العربي أو ذاك، أو بالخيانة لصالح "الأغيار"، ناهيك عن الاتهام بالتفريط بالمبادئ والثوابت، وغيره". (تيزي، بيان في النهضة والتنوير العربي، 2005، صفحة 106)

أما على مستوى النظام السياسي العربي، فنجد بأن "التيزيني" يرى أن غياب الديمقراطية هي من حولت هذا النظام الى " دولة أمنية"، بحيث تقوم هذه الأخيرة في نظر "التيزيني" على إغراق المجتمع العربي في الفساد والإفساد، ما أدى في نظره الى غياب الشفافية في الحوار العقلاني الوطني والقومي وقادة على حد تعبيره الى انتاج " الحطام العربي"، من هنا برزت في نظره الظلامية بمثابة السمة البالغة لكل تجليات الفكر العربي النظرية وتياراته السياسية، حيث ظهرت صراعات عبثية بينها وكأنها دفع الى هاوية مشتركة، وهذا ما مثّل في نظر "التيزيني" أحد مظاهر الأزمة البينيوية والتاريخية في المجتمع وفي الفكر العربي، ليكرس بذلك الحطام العربي. (تيزيني، بيان في النهضة والتنوير العربي، 2005، صفحة 106)

أما الظلامية، فيرى "التيزيني" بأن شأنها تعاضم بشكل خاص في الأنظمة السياسية العربية، التي تقوم على الاستفراد بالثروة والسلطة والإعلام وبالحقيقة، وتهشيم وحدة الشعوب العربية منفردة ومجتمعة، وكذا تهشيم المثقفين العرب، باعتبارهم قوة تاريخية وضمير شعوبهم وأمتهم والمسهمة بعمق في صوغ وعيهم التاريخي. (تيزيني، بيان في النهضة والتنوير العربي، 2005، صفحة 106، 107)

4. طبيعة العلاقة بين النهضة والتنوير

تعد العلاقة بين المشروع النهضوي والتنوير محورا أساسيا في تطور المجتمعات، لأن كلاهما مرتبطان بالسعي نحو التطور والتحرر من قيود الجمود الفكري والسياسي؛ فإذا كانت النهضة تمثل حركة شاملة لإحياء القيم الاجتماعية والثقافية، فإن التنوير يساهم بدوره في ترسيخ مبادئ الحرية والعقلانية كأساس للتحويل والتغيير المجتمعي، ضمن هذا الإطار، تتجلى أهمية استكشاف العلاقة بين النهضة والتنوير في فكر "التيزيني"؛ الذي يهدف إلى تأسيس مشروع جديد يتجاوز به التحديات الراهنة لبناء مستقبل أكثر إشراقا، من هنا نتساءل: ما طبيعة العلاقة بين النهضة والتنوير في فكر طيب التيزيني؟

يرى "طيب التيزيني" بأنه توجد علاقة بين النهضة والتنوير في الفكر العربي المعاصر وهذا متجذر وبشكل جلي في السياقات التاريخية وله أبعاد عميقة في الفكر الإيديولوجي، فلا يمكن في نظره التأسيس لمشروع في النهضة دون الإقرار بالفكر التنويري كأساس ضروري ومهم، وكشرط أساسي وضروري لتحقيق النهوض والتقدم، (تيزيني، بيان في النهضة والتنوير العربي، 2005، صفحة 101) بمعنى أن التنوير في بعده الزمني التاريخي لا يمثل مرحلة مؤقتة فقط، وإنما هو عبارة عن جزء أساسي في تكوين المشروع النهضوي، فمثلا: عبر التاريخ ظهرت حركات تنويرية عبرت في غالبيتها على حركات فكرية وكانت سابقة على ظهور النهضة، جاءت من أجل تهئية الأرضية الخصبة وتوفير الظروف المناسبة لحدوث النهضة، بمعنى أن النهضة تأخذ مشروعيتها من التنوير الذي يسعى الى نبذ كل أشكال التخلف والجهل كشرط ضروري لإحداث جملة من التغييرات الثقافية والاجتماعية والسياسية، فمثلا: النهضة الأوروبية هي حركة تنويرية، أدت الى إحداث تغييرات جذرية داخل المجتمعات الأوروبية، وذلك بأخذها لمبادئ العقل والأخذ بالعلوم وحملها لشعارات الحرية والعدل والمساواة.

لهذا، فالأمة حين تطرح مشروعا تكون في حالة حطام يلفها من أقصاها إلى أقصاها، و "التيزيني" يرى أن النهوض بالأمة العربية يقتضي تجاوز الحطام، لأن الحطام ليس مغلقا في لحظة معينة وإنما هو بتعبير "التيزيني" "حطام

مفتوح" قابل دائما لعملية الاختراق، وهذا ما يتيح للعالم العربي اليوم إمكانية بناءه من خلال إصلاحه والتأسيس له بطريقة جديدة في العديد من الحقول سواء كان ذلك اجتماعيا أو اقتصاديا أو ثقافيا وغير ذلك. (الهوراني، 2003) كما يرى "التيزي" بأن التنوير هو السبيل الوحيد لتجاوز الفكر الظلامي؛ الذي يتسم بانغلاقه البنيوي ورفضه للتعددية بكل أشكالها، فهذه الظلامية تقوم على إقصاء الآخر وإنكار التنوع الثقافي، وإعادة إنتاج علاقات الهيمنة من خلال نظرة دونية للآخر، كما أنها تؤسس لمنظومة معرفية تدعي احتكار الحقيقة المطلقة، مما يؤدي إلى تكريس الاستبداد الفكري وإعاقة أي مشروع نهضوي نقدي. (تيزي، بيان في النهضة والتنوير العربي، 2005، صفحة 102)

إضافة إلى ذلك، فإذا كان التنوير هو من يقوم بالإملات الفكرية والنقدية، فإن النهضة هي التي ستتولى الجانب التطبيقي العملي، وهذا ما يقربه "التيزي"، حيث يرى استحالة الفصل بين قضيتي النهضة والتنوير، يقول في هذا الصدد: "فلعلنا نرى أن التلازم بين النهضة والتنوير في المشروع العربي الجديد أمر ذو بعد قطعي معرفيا وتاريخيا، فلا التنوير قابل للحدوث دون نهضة، ولا النهضة قادرة على استكمال مهماتها دونه". (تيزي، بيان في النهضة والتنوير العربي، 2005، صفحة 102)

إذن نلاحظ، بأن "التيزي" يرفض الفصل بين قضية النهضة وقضية التنوير، بحيث يؤكد لنا على أن المشروع النهضوي لا هو قادر على النهوض بدون التنوير، ولا التنوير سيكتمل بدون النهضة، بمعنى أن العلاقة بين النهضة والتنوير عند "طيب التيزي" هي علاقة مترابطة ومتجذرة وليست ظرفية أو عابرة، فمثلا: لا يمكننا أن نتكلم على إنشاء مؤسسات تعليمية متقدمة ولا بناء أنظمة ديمقراطية وهذه سمات من المشروع النهضوي، دون أن يوجد الفكر التنويري الذي يؤمن بمقولات العقلانية والتطور العلمي وإيمانه بالتعددية والحرية في التفكير.

إن العلاقة التي تجمع النهضة بالتنوير في نظر "التيزي"، هي ليست علاقة خارجية، وإنما هي علاقة داخلية، بمعنى أن كلا المشروعين يمثلان مع بعض وحدة متكاملة ينبعان من الداخل أي من السياقات الاجتماعية والثقافية العربية، يقول التيزي: "بهذا، يتاح لنا الكشف عن خصوصية العلاقة الراهنة بين النهضة والتنوير في المشروع العربي الجديد، إنها علاقة داخلية تضافية". (تيزي، بيان في النهضة والتنوير العربي، 2005، صفحة 103، 102) وبالتالى نجد أن العلاقة بين النهضة والتنوير كما يصفها "التيزي" علاقة تضافية، أي علاقة تبادلية بين الطرفين، بحيث تمثل كل من النهضة والتنوير خطين متداخلين وليس خطين منفصلين، فكل واحد منهما يكمل الآخر في رأيه.

من هنا، فالعلاقة التي تجمع النهضة والتنوير في المشروع العربي الجديد، في رأي "طيب التيزي" لا يمكن أن تتحقق دون أن يكون هناك تنوير حقيقي، ومواجهة صادقة وعلمية مع الذات العربية؛ فإذا سلمنا بالقول بإمكانية النهوض دون تنوير، سينتج عنها فقدان القدرة على مواجهة التحديات والصعاب الكابحة من الداخل والخارج، خاصة على صعيد انتاج مختلف المفاهيم السوسيوثقافية والمعرفية التي لها علاقة بالاستقلال والسيادة والحدثة والإصلاح والديمقراطية والمجتمع السياسي والمقاومة والمماطلة والاختراق وغيرها، كما سيكون غير قادر على القيام بعملية النقد الذاتي المفتوح بمبادئها وسيرتها في ضوء السجال والحوار أو الصراع مع ظاهرات من نمط الأصولية التكفيرية والنزعة الاستغرابية والنزعة الكوسموبوليتية والنزوع الى التطبيع مع المشروع الصهيوني، أما بصيغة التخصيص "فطيب التيزي" يرى أنه يوجد تلازم ذو بعد قطعي (معرفيا وتاريخيا) بين النهضة والتنوير في المشروع

العربي الجديد، فلا التنوير قابل للحدوث دون نهضة ولا النهضة قادرة على استكمال مهماتها دونه". (صالح، 2008، صفحة 46)

ضمن هذا السياق، نجد أن "التيزي" يسعى إلى إسقاط هذه العلاقة التضاييفية التي تجمع النهضة بالتنوير على الواقع العربي الجديد، سعياً منه إلى الكشف عن خصوصية المجتمعات العربية الذاتية، من خلال مراعاة المجال التاريخي والثقافي وحتى الديني وكذا تحرير الفكر العربي من التبعية والركود، بعيداً كلياً عن السياقات وكل الاحتمالات الخارجية؛ لكن رغم شمولية طرح "طيب التيزي" من خلال تصوره الواضح للعلاقة التي تجمع النهضة بالتنوير، فهو لم يقدم لنا رؤية عملية دقيقة ومضبوطة لكيفية تفعيل هذه العلاقة على واقعنا العربي الراهن؛ أي كيف نُفعل هذا التنوير في ظل ما نعيشه اليوم؟ خاصة في ظل الظروف التي نحيها والمتسمة بالتعقيد اجتماعياً وسياسياً وثقافياً، كما أنه لم يقدم لنا أمثلة واضحة أو خطط عملية نستطيع من خلالها الكشف عن طريقة الانتقال من الفكر التنويري إلى النهضة التطبيقية، لهذا نجد بأن تصوره يفتقر قليلاً للدقة، وهذا ما يحيلنا إلى التشكيك بأن المشروع النهضوي وكأنه أقرب إلى التصورات المثالية وبعيداً كل البعد عن تحقيقه على أرض الواقع خصوصاً في الفترة العربية الراهنة.

5. خاتمة

نستنتج في الأخير أن المشروع النهضوي التنويري عند المفكر السوري "طيب التيزي" هو عبارة عن تفكيك للبنى التقليدية الظلامية واستبدالها بالقيم التنويرية (الحرية، العقلانية، الدفاع عن الحرية والعقلانية)، ما يسمح بتأسيس مجتمع عربي جديد قادر على مواجهة تحديات الوقت المعاصر.

إن التنوير بالنسبة إلى "طيب التيزي" هو عبارة عن مشروع عملي، يسعى من خلاله إلى إحداث جملة من التغييرات داخل العالم العربي، والرقى به نحو التطور الحضاري، فالحرية تتيح للفرد التفكير المستقل، ما يسمح له بتخطي القوالب الجاهزة، أما العقلانية فتمكنه من تفكيك الخطابات السلطوية الدوغمائية عن طريق النقد، في حين نجد أن الدفاع عن الحرية والعقلانية تعمل على ضمان استمرارية المشروع النهضوي التنويري حتى لا يرتد إلى العناصر الظلامية.

إن "طيب التيزي" ومن خلال سعيه لبناء مشروع متكامل في النهضة والتنوير العربي، يجد بأن الفعل التنويري هو من يقوم بخلق الوعي النقدي البناء، في حين يكون الفعل النهضوي الإطار التطبيقي والعملي لممارسة هذا الوعي على أرض الواقع، لتصبح العلاقة النهضوية التنويرية كما يطرحها "التيزي" ليست خيارية وإنما هي علاقة متداخلة، لأن كلاهما وجهان لعملة واحدة وهي محاولة بناء مجتمع عربي جديد قادر على مجابهة كل أشكال التخلف والتبعية والاستبداد.

6. قائمة المراجع:

- الحصري، ساطع. (1985). *أبحاث مختارة في القومية العربية* (ط2). لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.
- تيزيني، طيب. محمد، الحوراني (2003). *المشروع النهضوي كفيل بوضع حد لمشاكل الأمة العربية*. مجلة العربي، (5) 534، (2003) <https://alarabi.nccal.gov.kw>
- تيزيني، طيب. أبو يعرب، المرزوقي. (2001). *آفاق فلسفية عربية معاصرة* (ط1). سوريا، لبنان: دار الفكر المعاصر.
- عبد الله تركماني (2023). *قراءة متمعنة في الفكر السياسي للطيب تيزيني*. <https://mustakbalsuria.com> (23/5/2023)
- طيب تيزيني (2008)، *العقلانية والتنوير في الفكر العربي المعاصر*، <http://www.arabphilosophers.com> (22/10/2008)
- تيزيني، طيب. (2005). *بيان في النهضة والتنوير العربي* (ط1). لبنان: دار الفارابي.
- جهامي، جيار. (دت). *موسوعة الفكر العربي الاسلامي الحديث والمعاصر* (ط1). لبنان: مكتبة لبنان.
- صالح، نبيل. (2008). *طيب تيزيني من التراث الى النهضة* (ط1). لبنان: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي.
- ابن منظور، محمد. (2008). *لسان العرب* (ط1). الجزائر: دار الأبحاث.
- ابن منظور، محمد. (دت). *لسان العرب* (ط1). لبنان: دار صادر.